

فضائل الفارابي في تحول النماذج المعمارية-أسواق مدينة بغداد نموذجاً

م.سرى قاسم امين¹

9008@uotechnology.edu.iq

م.د.مصطفى كامل كاظم¹

90005@uotechnology.edu.iq

أ.د. إبراهيم جواد كاظم آل يوسف¹

123367@uotechnology.edu.iq

الجامعة التكنولوجية – قسم هندسة العمارة/ العراق – بغداد 1-1

ARTICLE INFO

Received: 26/11/2017

Accepted: 27/01/2019

الكلمات المفتاحية:

مبنى؛ مجتمع؛ فرد؛
خصوصية؛ هوية؛ حرفة

المستخلص:

ان الفرد هو أساس نشوء المدن ، فمن خلاله نشأت مدن متعددة اختلفت من حيث موقعها وتاريخها وعدد سكانها ولكن لم تبقى ببنيتها الأولية قائمة حتى عصرنا الحاضر دون ان يحدث لها تحول وتغير في بنية المدينة وبفعل وظائفها المتعددة كالسكن والتسوق وخدمات أخرى سواء كان ذلك بالجانب الاجتماعي او الاقتصادي او السياسي او الديني، ولهذا نجد ان نشوء أي أنموذج معماري في المدينة مرتبط بالفرد والمجتمع فمن خلالهم يتم تحديد النواة الأولى للنماذج ومن ثم تحدث التغيرات للنماذج المعمارية بتأثير الاحتياجات الاجتماعية المتغيرة نتيجة الفعل المكاني والزمني للعصر، ولهذا فظهرت المشكلة البحثية "دور الاحتياجات الاجتماعية المتغيرة التي أدت الى تحول أنموذج الأسواق لمدينة بغداد التاريخية" وبرز هدف البحث ليمثل "بيان تأثير الاحتياجات الاجتماعية للفرد على تحول نمط التكوينات الشكلية الأساسية في النماذج المعمارية (الأسواق) في مدينة بغداد التاريخية"، وقد اعتمد البحث على منهج تحليلي استقرائي لقراءة مشتركة بين فضائل الفارابي وهرم ماسلو للحاجات. وتم الاعتماد على مراحل نشوء أنموذج الأسواق التقليدية لمدينة بغداد كحالة دراسية يتم من خلالها تطبيق مفردات الاطار النظري من اجل دراسة مدى تفاعلية الفرد مع المتغيرات الاجتماعية المتغيرة مكانيا وزمانيا، وانعكاس ذلك على مهنة الفرد في المدينة وممارسته لها من خلال الأخلاق المهنية للصناعة التي تتجسد في أسواق المدينة.

Virtues of al-Farabi in the transformation of the city Baghdad city markets model

Prof. Dr. Ibrahim Jawad Al-Yousif¹
123367@uotechnology.edu.iqLect. Dr. Mustafa Kamil Kadhim¹
90005@uotechnology.edu.iqLect. Sura Kassim Ameen¹
9008@uotechnology.edu.iq

University of Technology / Department of Architecture Iraq / Baghdad 1-1-1

Abstract:

Key Words:

building ;
Community ; person ;
Privacy ; identity ;
craft

The individual is the basis of the emergence of cities, through which the emergence of multiple cities differed in terms of location, history and population, but did not remain in the structure of the initial list until our present time without the transformation and change in the structure of the city and by its various functions such as housing and shopping and other services, whether the social aspect or Economic, political or religious, and therefore we find that the emergence of any architectural model in the city is linked to the individual and society through them are identified the nucleus of the first models and then changes to architectural models influenced by the changing social needs as a result of the spatial and temporal action of the era, Research problem "The role of the changing social needs that led to the transformation of the market model of the historic city of Baghdad." The aim of the research was to "demonstrate the impact of the social needs of the individual on the transformation of the pattern of basic formations in architectural models (markets) in the historic city of Baghdad." The research was based on an inductive analytical approach to a common reading between the virtues of al-Farabi and Maslow's hierarchy of needs. It was based on the stages of the emergence of models of the traditional markets of Baghdad as a case study through which the vocabulary of the theoretical framework is applied in order to study the extent of the individual's interaction with the changing social variables spatially and temporally, and the reflection on the individual's profession in the city and its practice through the professional ethics of the work that is embodied in the city market.

1- تمهيد:

كانت العمارة ولا زالت سجلا توثيقيا لحضارة الانسان متضمنا كل ما يسود تلك الحضارة من قيم ومبادئ وافكار، فهي الشغل الشاغل لما لا حصر له من الجهود الانسانية على مر العصور، لتتذبذب عبر تاريخها الطويل وتترامى بين تيارات الفكر المختلفة وبين جانبي الحياة وهما الجانب الذاتي والجانب الموضوعي للذات شكلا الاطار العام لأي تنظير او تسجيل فكري تعميمي.

إن المدينة هي وحدة اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية وعمرانية، تنمو وتتطور بشكل ديناميكي ضمن حيز مكاني معين، وخلال فترات زمنية معينة تعمل وترتبط وفق نظام خاص بها يختلف من منطقة الى منطقة أخرى ومن مدينة إلى أخرى. يعتبر السكان هم الجانب الاجتماعي والثقافي، ويتميز الانسان بانه اجتماعي بطبعه، يميل للعيش ضمن مجاميع بشرية، ليكون بالتالي علاقاته الاجتماعية المختلفة ويتواصل ويتفاعل مع افراد المجتمع، من اجل ديمومة الحياة، وتعتبر العمارة المنتج الثقافي الاكثر تواجداً في المحيط الانساني، فنحن نولد ونعيش ونتعلم ونموت ضمن اطار معماري. اما الجانب الاقتصادي فيتمثل بطبيعة ونوع النشاط الذي يمارس في المدينة وهو مرتبط بالعمارة من خلال مجموعة من الوظائف التي تنوعت بتنوع الاستعمال والغرض من انشاء العمارة وطريقة التخطيط للمدن وظهور عناصرها المعمارية، بينما الجانب السياسي فيتمثل بالسلطة الإدارية والسياسية في المدينة، بينما يكون الجانب العمراني متمثل بالكتل البنائية (العناصر العمرانية المكونة للمدينة).

ولهذا فان البحث سوف يتناول مجموعة من الدراسات النظرية والتي من خلالها نصل الى صياغة مفردات الاطار النظري ومن ثم تطبيق هذه المفردات ضمن المنتخبة وهي نموذج الأسواق في مدينة بغداد.

لقد اعتمد البحث على فضائل الفارابي من اجل التوصل الى تحقيق الكمال والسعادة من خلال هذه الفضائل الأربعة ولارتباطها بالفرد والمجتمع بصورة مباشرة لكونها تعبر عن واقع حياة الانسان وارتباطه مع المجتمع ومدى تأثير المتغيرات الزمانية والمكانية عليهما وكيفية انعكاس ذلك على النتائج المعمارية.

تم تحديد المشكلة العامة للبحث التي تمثلت (تصور فضائل الفارابي الأربعة على النماذج المعمارية لمدينة بغداد من خلال الفرد والمجتمع) ، اما المشكلة الخاصة للبحث (دور الفضائل الأربعة في الاحتياجات الفردية والاجتماعية ، ويكون مجالها التحول الشكلي في نماذج الأسواق لمدينة بغداد)

هدف البحث :- بيان تأثير الاحتياجات الاجتماعية للفرد على تحول نماذج المستويات الشكلية للأسواق في مدينة بغداد التاريخية ، بينما اعتمد البحث في منهجيته على المنهج التحليلي الاستقرائي من خلال تحليل الفضائل الأربعة للفارابي وكذلك نظرية هرم ماسلو للحاجات وكيفية إيجاد الروابط المشتركة بينهما لكي تنعكس بالجانب الاجتماعي للفرد والمجتمع ومدى تأثير المتغيرات التي تحدث نتيجة التأثير الزماني والمكاني على الفرد والمجتمع بصورة عامة وعلى المستويات الشكلية بصورة خاصة .

يتم دراسة أسواق مدينة بغداد ومراحل نشؤها ونموها وتطورها على مراحل زمنية متعددة ، من اجل عرض الصيغة والكيفية التي اعتمد عليها نشؤ الأسواق وكيف تم الاتجاه نحو التوسع المكاني لها، والذي حدث بسبب توسع الحاجات المجتمعية التي لم ترتبط بالفرد فقط وانما كانت على مستوى المجتمع، وكذلك اتجاهية الفرد نحو التحول من الحرفة الى الصنعة التي بدأت تظهر خارج حدود السور. والخروج عن النموذج التقليدي للمدن المسورة والاتجاه نحو احتواء المجاورات للمساهمة في توسعة المدينة وخلق عدد من النواة الأساسية لتلك التوسعات. لهذا اتجه البحث نحو الحاجة كمطلب انساني ومادي ومعنوي ينعكس على النتائج.

2- الفضائل الأربعة في فكر الفارابي

يعرف الفارابي هو محمد بن طرخان بن أوزلغ أبو نصر الفارابي، وهو تركي مستعرب من أكبر فلاسفة المسلمين، ولد الفارابي في منطقة على نهر جيحون (فأراب) في عام 260 للهجرة، وانتقل إلى مدينة بغداد وقد ألف أكثر كتبه فيها. (284 – AI

Jayousi, 2005, p). أن ما يقوم الإنسان به من اعمال في عقله تمثل فكرا بما فيه من قدرات وملكات مع الاستعانة بمعلومات ومعطيات معينة متوفرة لديه، ليتوصل في النهاية إلى حل مشكلة معينة، أو إيجاد بدائل لشيء ما، أو محاولة منه لتطوير وتحسين ذلك الشيء، أو ابتكار شيء جديد . ولقد ذكر كتاب الفارابي (تحصيل السعادة) عن مفهوم الفكر من خلال طرحه الى الفضائل

الأربعة والتي تمثلت (الفضائل النظرية، الفضائل الفكرية، الفضائل الخلقية، الفضائل العملية) (AI-Farabi, 1995, p25). ويرى الفارابي بأن هذه الفضائل متماسكة مع بعضها وكل فضيلة تكمل الفضيلة التي تسبقها (AI-Farabi, 1987, p66).

والفضائل تتمثل ب :

2-أ- الفضائل النظرية:-

الطريق إلى معرفة الفضائل النظرية هو التعليم (Al-Farabi, 1998, p71) وهي أشبه ما تكون بالنظرية المعرفية وفيها يتدرج الفارابي بالموجودات من البسيط إلى المركب فالأكثر تركيباً ، ولاشك أن أبسطها المادة وأكثرها تعقيداً الإنسان .

ويحث الفارابي على أهمية التعليم والإرشاد من أجل تحقيق السعادة ويذكر "إن كان المقصود بوجود الإنسان أن يبلغ السعادة القصوى فإنه يحتاج في بلوغها إلى أن يعلم ويجعلها غايته ونصب عينيه ثم يحتاج بعد ذلك أن يعلم الأشياء التي ينبغي أن يعملها حتى ينال السعادة ثم أن يعمل تلك الأعمال " (Al-Farabi, 1998, p78) . ويوضح الفارابي سياسة لتعليم الفضائل النظرية ، ويقسم الناس على أساس هذا التعليم إلى عام وخاص ، فالعام من منظور الفارابي هو الذي لم يكن له رئاسة مدنية ولا صناعة يرشح بها لرئاسة مدنية ، والخاص هو الذي له رئاسة مدنية يرصد بها لرئاسة مدنية ، ويسمى بالرئيس الأول، ولقد وضع طرق تدريس لكل صنف، فالطرق الاقناعية والتخييلات تستخدم في تعليم العامة، وطرق البراهين اليقينية تستعمل في تعليم الخاص حيث يقول (Al-Farabi, 1998, p72-73) . وبما أن الفضائل عند الفارابي متماسكة ومتراصة فيما بينها فإن العلوم النظرية خلاصة علم الفضائل الأخرى وليس بعد معرفة هذه الفضيلة إلا بلوغ السعادة. (Al-Farabi, 1998, p 106-107) .

2-ب- الفضائل الفكرية :-

يقول الفارابي عن هذه الفضيلة : " السعادة تبلغ بأفعال ما إرادية بعضها أفعال فكرية وبعضها أفعال بدنية ، وليس بأي أفعال اتفقت " (الفارابي، ص15) . أي أن الفضيلة الفكرية تحتاج إلى جودة التمييز وذلك من أجل التفريق بين الأفعال الجميلة والأفعال القبيحة واستنباط ما هو انفع في غاية فاضلة. (Al-Farabi, 1995, p12)

- تقسم الفضيلة الفكرية إلى قسمين :-
- الفضيلة الفكرية العظمى ← القوة الفكرية التي تستنبط بها ما هو أنفع وأجمل في الغايات المشتركة للمجتمع مما شأنه أن لا يتبدل إلا في مدد طويلة.
- الفضيلة الفكرية الجزئية ← هي القوة الفكرية التي يستنبط بها ما هو أنفع وأجمل في غاية فاضلة لطائفة من أهل الصناعة، وهي تستنبط الفضيلة الخلقية وتميز معقولات الفضيلة النظرية . (Al-Farabi, 1995, p66-67)

2-ت- الفضائل الخلقية :-

تحدث الفارابي عن الفضيلة الخلقية في كتاب تحصيل السعادة ، و ذكر أن الأفعال التي تصدر عن الإنسان تحتاج إلى مصدر غير العقل النظري هو العقل العملي أو الإرادة ، ولا تخضع لقوانين ثابتة لأن إرادة الإنسان تتأثر بأمور طبيعية واجتماعية مختلفة ، وطالما أن أفعال الإنسان تختلف باختلاف الزمان والمكان فإن الفضائل الخلقية تختلف باختلاف الأزمان والبلدان والشعوب وكذلك أعراضها (Al-Farabi, 1998, p 51-52-53) ، ويعتبر الفارابي الصناعة الخلقية من احد أصناف الفلسفة المدنية حيث يقول: " الفلسفة المدنية صنفتان : أحدهما به يحصل علم الأفعال الجميلة والأخلاق التي تصدر عنها وهذه تسمى الصناعة الخلقية ، والثاني يشمل على معرفة الأمور التي بها تحصل الأشياء الجميلة لأهل المدن والقدرة على تحصيلها لهم وحفظها عليهم وهذه تسمى الفلسفة السياسية وعلم السياسة " (Al-Farabi, 1998, p23) . ويفهم من خلال هذا التصنيف بأن الفلسفة المدنية عند الفارابي تهتم بالفرد والمجتمع. فالقسم الأول يهتم بالفرد عن طريق معرفة الأخلاق والسلوك الخلقى للفرد، والقسم الثاني يهتم بالأخلاق ولكن على مستوى المجتمع بما يسمى بالفلسفة السياسية (Al-Farabi, 1998, p20) . أن الأفعال التي تصدر عن الإنسان تحتاج إلى مصدر غير العقل النظري هو العقل العملي. ولا تخضع لقوانين ثابتة لأن إرادة الإنسان تتأثر باختلاف الزمان والمكان .

2-ث- الفضائل العملية الصنعة :-

كل صنف من أصناف المعرفة السابقة له صنائع ترتبط بأساس العلم والعمل أيضا ، فتكون الصنائع صنفتين:

- 1- صنف يكون لنا بها معرفه بالعلم فقط ويقصد بذلك صناعة الفلسفة
- 2- صنف يحصل لنا بها علم ما يمكن أن يعمل والقدرة على عمله (Aati, 1993, p38)

وهذا الصنف ينقسم إلى قسمين:

- صنف يتصرف به الإنسان في المدن مثل الطب والتجارة والفلاحة وسائر الصنائع التي تشبهها.
 - صنف يتصرف به الإنسان في السير وأيهما أجود ، وبه يميز الاعمال الصالحة ، وبها يستفيد من القوة على فعلها. (p19)
- . (Al-Farabi, 1998).

فالتمييز لهذه الصنائع يكون بالفضيلة الفكرية وهذا مما يدل على تماسك وتداخل هذه الفضائل فيما بينها من أجل الوصول إلى تحصيل السعادة. كما هو في (1) figure.

كل صنف من أصناف المعرفة السابقة له صنائع تبني على أساس العلم والعمل

- 1- صنف يكون لنا بها معرفه بالعلم فقط ويقصد بذلك صناعة الفلسفة
- 2- صنف يحصل لنا بها علم ما يمكن أن يعمل والقدرة على عمله هذا الصنف ينقسم إلى قسمين:
 - صنف يتصرف به الإنسان في المهنة (ممارسة المهنة)
 - صنف يتصرف به الإنسان في الفعل (القوة والفعل)

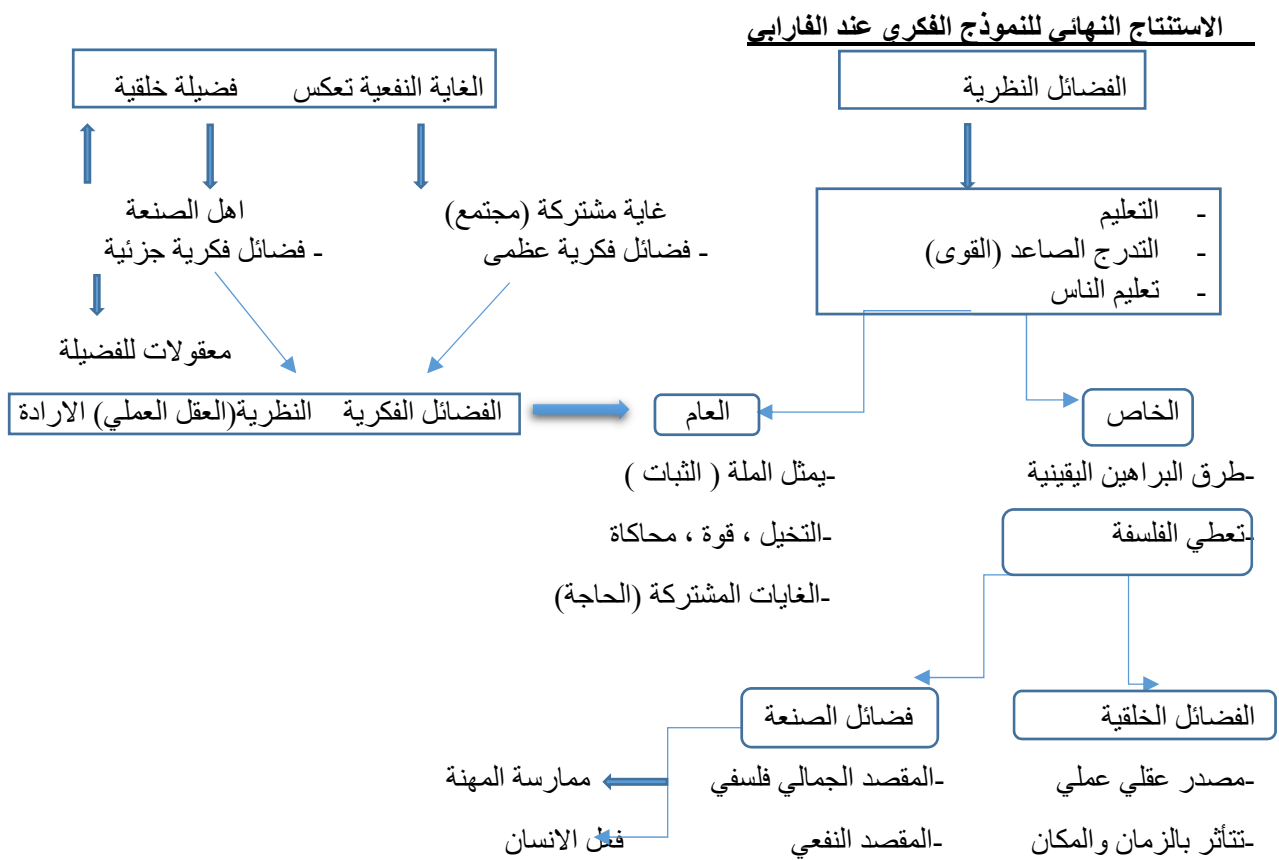


Figure (1) Structure chart of the intellectual model of the four virtues of the thought of al-Farabi \ source: researchers

3- نظرية هرم ما سلو: -

تعد نظرية ماسلو من اهم النظريات في تفسير مفهوم الحاجة وذلك انها تنظر نظره ديناميكية كلية للحاجات ليست متعاونة فيما بينها فحسب بل انها تدفع الفرد الى القيام بعمل معين وحين تشبع فأنها تختزل ولكنها ليست ساكنة بل انها على استعداد للظهور عندما تسمح الظروف مرة أخرى علاوة على تخليص تلك النظرة من فكرة الدافعية الفطرية والمكتسبة والتي ادت الى الكثير من التقارب في آراء العلماء ، و افترض ماسلو ان الحاجات الاساسية تنمو بشكل هرمي لإنجاز حاجات ذات مستوى مرتفع كحاجة تحقيق الذات ، غير ان هذه الحاجات لا تظهر في سلوك الفرد الا بعد اشباع حاجات الانتماء واشباع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الامان ، واذا

حصل تعارض بين الحاجات الدنيا والحاجات العليا بالقوة نفسها فالحاجات الدنيا هي التي تسيطر وتظهر حتى يتم اشباعها (370- (Maslow, 2014, p 398).

4- دراسة ال(يوسف) هرم ماسلو للحاجات: -

تظهر الحاجة في صورتها ببيئة رغبة غير مبررة، لما فيها من اهداف او احلام، الا انها قد تبرر لتلبية واشباع اشياء لدى الانسان او المجتمع، ولقد ظهرت تلك الحاجة لتعالج مشكلة الاتصال بين الانسان والآخر. نجد من المفيد التعامل مع الانسان وتكيفه في مجتمعه، والاستفادة من اشباع الحاجة بافتراض نشوء الانسان في بيئة تسعى الى اشباع حاجاته، لترفع من قدرته على التكيف واداء فعالياته الحياتية ضمن حدود سكنه او مكان عمله وصولا الى المدينة، ويكون التكيف وفقا الى معايير وتقييم للحالة التي يتعامل بها، فقد تبدأ بالحاجات الأساسية في الملابس والمأكل والمشرب باتجاه ما يطمح له في القبول من الآخرين وتنمية شخصيته في احترامه لذاته. حيث يكون اشباع الحاجة في التوازن عند تحقيق الانتماء الناتج من معطيات الحاجات الفسيولوجية عبر الامان كمرحلة تكيف انسان في بيئة معينة والتي تؤدي الى مرحلة القبول في الحاجة الى التقدير واحترام الذات عبر تأكيد الذات (Al-Yousif, 2017, p113)، ويمكن الاجتهاد فيها عندما نتحقق من ظهور مستويين في تحقق ذات الانسان وتقديره .

الأول: - يتحرك الانسان في صراع مع بيئته ليستثمرها في اشباع حاجاته الفسيولوجية من الاكل والشرب ، فأعطى الاستقرار المتزامن مع الامان، ثم يتشدد في حضوره زمانا ومكانا عند حاجته في تقديره واحترامه لنفسه عبر التأكيد على الظروف التي تعينه على ظهوره، وهذا ما يمكن به تفسير ظهور الانسان الاول وتعامله مع بيئة يتعامل معها لأول مرة فهو اعتمد على التجربة والخطأ فتعدد النتائج يكون معيارها درجة التكيف ، كما هو موضح في (2)figure.

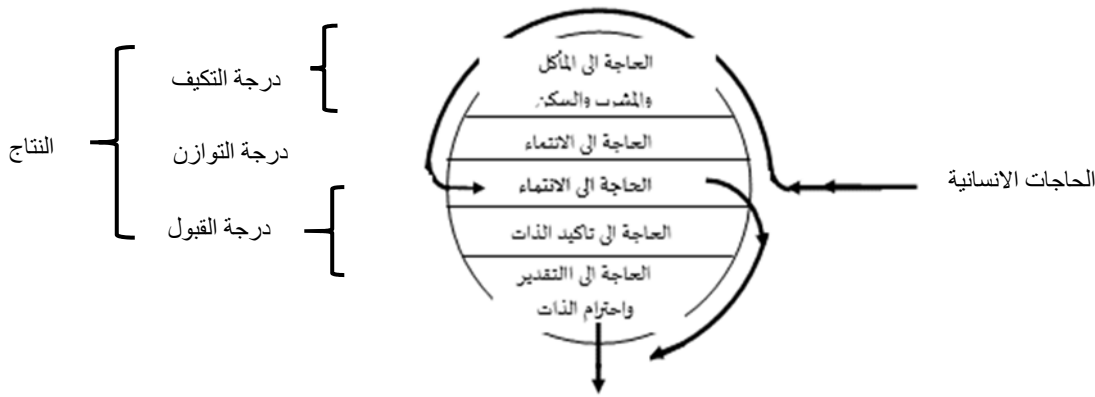


Figure (2) The first man and dealing with the environment in which he found (trial and error) \ Source :Al-Yousif

ثانياً:- يتحرك الفرد بفعل عقله، وما يمتلك من رصيد ثقافي واجتماعي، فيتحرك ليتمكن ابتداء في تحقيق انتماء لمجتمع معين، او مجموعة معينة، ليدفع في حبه الى الامان الذي يضمن له الاستقرار ليتكيف مع بيئته بفعل فعاليتها في من اجل ديمومة الحياة ، ويظهر انعكاسها في راي الانسان وعلو شأنه عند معرفة قدراته فيقتنع باحترام ذاته، ليكون مقبولاً في مجتمعه ، وهذا لا يكون الا في ظروف ابداعه. وهذا يفسر صراع الانسان، بعقله وتجربته، مع البيئة التي يتواجد فيها لتظهر بصفة النتائج المتنوعة في العمارة واختلافها عن بعضها ومعيارها درجة القبول. (Al-Yousif, 2017, p114). ويمكن توضيح ذلك في (3)figure.

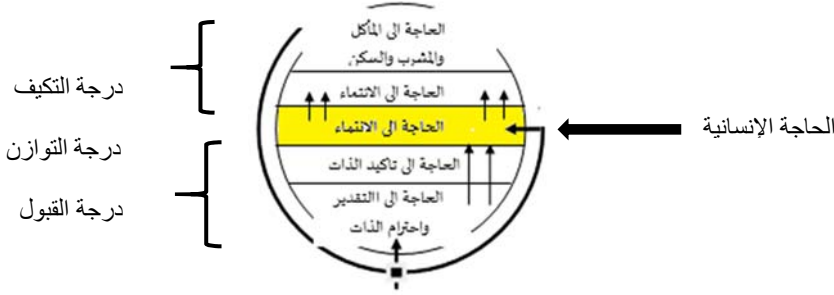


Figure (3) modern man and dealing with the environment in which he found (mind and experience) \ Source: Al-Yousif

وهنا نستطيع الاتجاه في كون التوازن هو ليس الهدف من حركة الانسان فيكون اعتماده على تلبية الحاجة لتعد مرحلة يتلاشى دورها عند ظهور النتائج كمرحلة اولى والقبول به من قبل الاخرين كمرحلة ثانية. وهذا يتنافى مع ما طرحه هرم ماسلو عندما طرح ترتيبه في تسلسل اشباع الحاجات التي تبدأ بقاعدة الهرم في الحاجات الفسيولوجية، ثم الأمن، والانتماء، وهذه حاجات النقص التي يتطلب اشباعها حتى تساعد في نمو الفرد بدنيا ونفسيا وهي في نظرنا تعد مرحلة التكيف التي يحتاجها الفرد لينتقل الى مرحلة الاختلاف في القبول الذي يتضمن الاعتبار وتأكيد الذات، عندما جعل ماسلو الحاجة الى التقدير عند تنمية احترام الذات والحصول على قبول الاخرين، هي الحاجة التالية بعد الانتماء ولينتهي بإبراز الفرد لقدراته على الابتكار والاكتشاف ليتمكن من تقديم ما يعينه على شعوره بوجوده وكيانه.

5- الأسس التحليلية لكل من الفضائل الأربعة للفارابي وهرم ماسلو للحاجات :-

- ارتباط كل منهما بمستويين الأول يمثل مستوى المجتمع والذي يمثل العامة اما المستوى الثاني فهو مستوى الفرد والذي يمثل بالخاص ويسمى بالمعمار او الفيلسوف ولهذا فان عملية التحليل تتجه من العام الى الخاص أي من المجتمع وصولا الى الفرد .
- ان توفر الحاجات والأمان لأي مجتمع تحقق درجة من التوازن كما هو في التدرج الهرمي في دراسة ال يوسف حيث تساهم في الانتقال الى المستوى الأعلى وهو يرتبط أيضا بالفضائل الأربعة من خلال الفضائل النظرية التي تتمثل بالتعليم والتدرج الصاعد للقوى الذي يعتمد على التجربة والخطأ فمن خلالها يتم الانتقال الى مستويين العام والخاص فيرتبط العام بالمستوى الفضائل الفكرية اما الخاص فهو مرتبط بالفضائل الخلقية.
- ارتباط الحاجة والفضائل بالجانب المكاني الذي أدى الى نشوء النتائج المعماري من اجل تلبية حاجة المجتمع والتدرج لتلبية الحاجات الأخرى من خلال العقل والتجربة وانعكاسها بالنتائج على المكان وهذا تحقق من خلال نشوء الأسواق لكونها تلبى حاجات الفرد والمجتمع .
- استقرار الحاجة وتوفرها ساهم في التوازن والتطور والتأثير على فكر المجتمع وخصوصا فكر الفرد فأتجه نحو الخروج عن المألوف بنمطية الفكر وتأثير البعد الزمني على عمليات النمو والتطوير لفكر المجتمع وفكر الفرد بصورة خاصة وسيتم توضيح ذلك في الجانب التطبيقي من البحث.
- إمكانية دراسة العلاقة بين الفضائل الأربعة وهرم ماسلو حسب دراسة ال يوسف من خلال الجانب التطبيقي حيث تم الاعتماد على انتخاب الأسواق التقليدية في بغداد كعينة دراسية من اجل تحديد النقاط المشتركة والمختلفة .

6- الأسواق التقليدية في مدينة بغداد

لقد تناول لانك في كتابه عن "Creating Architecture theory" ان نشوء أي مدينة اما يعتمد على التنظيم الاجتماعي في تخطيطها وتصميمها أو التنظيم الشكلي أو الاعتماد على الدمج بينهما وهي تعتبر من أنجح المدن في نموها، ويذكر سايمون كوتشالك مفهوم التنظيم الاجتماعي (communal organization) الذي اعتبره تنظيم ينبع من الداخل، وهو ناتج عن عوامل زمانية و مكانية مؤثرة، والتنظيم الشكلي (formal organization) الذي يصدر من الخارج، هو ناتج عن تصورات شكلية ليست بالضرورة نابعة من متغيرات زمانية و مكانية، ولكنه يحمل قيم شكلية مسبقة الوضع. ووجد ان التنظيم الشكلي لأي مجتمع هو نتيجة للنمو الداخلي، وهو يخضع لفكر تصميمي موجه فيكون الفكر نابع من داخل المجتمع متمثلا بالفرد والناس و ليس من خلال تأثيرات خارجية. (Lang,1987, p 170)

وان مدينة بغداد المدورة التي أسسها أبو جعفر المنصور تمثلت بولادة مدينة مدورة اتخذت تنظيما شكليا خاضعا لفكر تصميمي موجه، لأن الهدف من انشاءها هو كمدينة مسورة و كمقر للخليفة الحاكم وحاشيته، فكان انشاءها بقرار فرد (المسؤول)، غير ان التوسع و النمو و الاضافات التي خضعت لها فيما بعد تمثلت بالمتغيرات الاجتماعية النابعة من الداخل، لذلك تمثلت بتنظيم موجه، اما ترابط

مكوناته فجاء من التكامل العام له، بينيته الحرة، وفيه تنوع في الفعاليات نابع من داخل المجتمع (حاجات) من(الفرد والناس) معا فبدأت تتخذ هيئة التنظيم المجتمعي وظهرت عدد من الوظائف التي تلبي حاجة الفرد والمجتمع.

5-أ- المرحلة الأولى لنشوء الأسواق

الأسواق هي المنشأ الاجتماعي الذي يمثل التعبير الحياتي عن حاجة المدينة نفسها، ويعتبر نشوء الأسواق هو من ضمن تخطيط المدينة، ووضعت الأسواق وتكملها الطرق الأربعة للمدينة المدورة في بداية نشؤها (Ibn Abdoun, 2009, p50). ولقد كان نشوء الأسواق في اول الامر من اجل ان تلبي حاجة الفرد والمجتمع وارتبط بوجود الحرفة ساعد على سرعة نشؤها وتوسعها وتطورها مع حركة الزمن لهذا نشأت أولى النماذج للأسواق من اجل الجانب الاجتماعي وتلبية حاجة الفرد والمجتمع. وكذلك من اجل الممارسة الاقتصادية، فكان هدف نشوء السوق يعتمد على (حاجة، متطلبات اجتماعية (فرد، مجتمع)، حرفة، ممارسة اقتصادية) كما هو في figure(4).



Figure (4) Imaginary sketch of the city of Baghdad (first stage) / Source: <http://www.iraqinhistory.com>

- الفكرة الأساسية لإنشاء المدينة هي التوجه المركزي للمدينة من خلال بيت الخليفة والمسجد أدى الى خلق قوتان متعاكستان الأولى قوة التجاذب وتتمثل بانجذاب الافراد حول مركزية المسجد، اما القوة الثانية فتتمثل قوة طاردة تمثل قوة حماية المدينة من الأعداء من خلال تمرکز الجانب السكني والاسواق داخل سور المدينة. كما هو في figure(5).

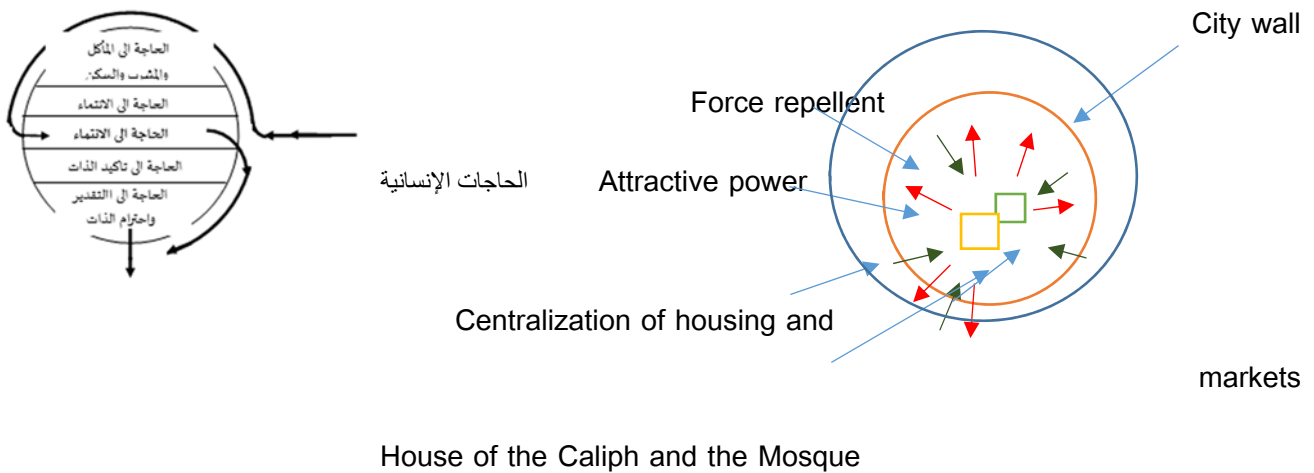


Figure (5) A preliminary idea of the nature of the relationship of the markets to the city / Source: researchers and Hermon Maslow study of Al-Yousif

- انتشار السكن خارج السور والاتجاه نحو تشييد سوق المدينة من اجل ان يلبي الجوانب النفعية(المادية) (الحاجات الإنسانية) وارتباط نشوء السوق بالفرد لارتباطه بالحاجة المرتبطة (الصناعة) لكونها من الأسباب التي أدت الى نشوء السوق فكانت الحاجات الفكرية تتمثل بمركزية المدينة اما الجوانب النظرية فتتمثل بنشوء السكن ومن ثم نشوء السوق .
- تحقيق حاجات الأمان للفرد من خلال وجود المسجد اما للخليفة تتمثل بتمركز السكان حول المدينة ووجود الأسواق ولهذا كان توفير الأمان متمثل بطرفين مختلفين
- وجود قوتين متعاكستين (الجاذبة والطاردة) في المدينة ساعدت على تحقيق الاتزان والاستقرار في المدينة. امتلكت بغداد في بداية نشوؤها ثقل اقتصادي وسياسي جعلها تستقطب السكان لأغراض التجارة من المدن الأخرى، بالإضافة الى عامل الأمان الذي أكد على توفيره من خلال تصميم المدينة ووجود الاسوار المحيطة بالمدينة والذي كان سبب لاستقطاب الناس على اختلاف طبقاتهم إليها، الأمر الذي أدى الى القيام ببناء الدور والأسواق والحمامات والخانات.

5-ب. المرحلة الثانية نمو الأسواق

لقد شهدت مدينة بغداد في مراحل لاحقة الخروج عن النموذج المألوف للمدينة من كونها مدينة محصنة بالأسوار والاتجاه نحو الخارج من خلال انشاء السويقات التي أصبحت نواة متعددة لأنشأ الأحياء السكنية حولها وكذلك انشاء المساجد حيث امر أبو جعفر المنصور اخراج الاسواق من المدينة المدورة و امر ان يبني سوقا وان يكون على شكل صفوف وكل صف يحدد في موضع معين ويكون لكل صنف من الباعة جزءا خاصا بهم، و امر المنصور ببناء مسجد (Al-Ali, 1988, p75). لقد اقيمت اسواق الكرخ في الجهة الجنوبية من بغداد ولتكون مركزا للنشاط الاقتصادي حتى اخذت بغداد في الاتساع صارت الكرخ في وسطها وتم بناء مسجد ومسكن لأهل الأسواق حتى لا يدخلوا داخل المدينة المحصنة (بغداد) وفيها توسعة اطراف المدينة. وكان لكل حرفة او تجاره سوقها المنفصلة وكانت بين اسواق الكرخ سوق للفاكهة وسوق للقماش وسوق للطعام وسوق للوراقين وسوق للأغنام، (Al-Jabri, 2002,p31). اما جانب الرصافة فيرجع تأسيسه الى التاريخ الذي اسست فيه مدينة المنصور المدورة في الجانب الغربي من نهر دجلة. فعندما انشأها المنصور جعلها لابنه المهدي وأصبحت مركزا لجيش المهدي و امر المنصور ابنه ببناء مساكن له ولجنده وبناء مسجد كبير وسويقات صغيرة تلبي احتياجات المجتمع والفرد (Mustafa Jawad, et others,1960, p2)، كما هو في (figure 6).

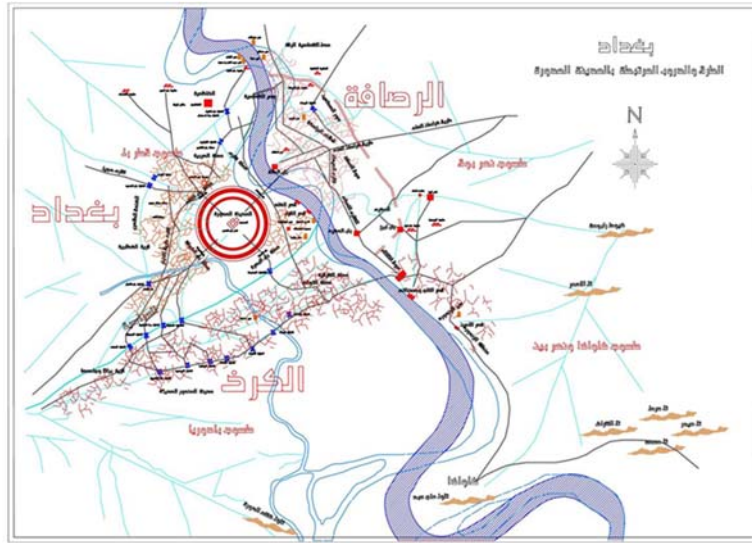


Figure (6) a diagram showing the location of the city of Baghdad \ Source: <http://www.iiraqna.com>

- ان تطور مدينة بغداد اتجه نحو ثبوتية الفضائل الفكرية والتوجه نحو تغير الفضائل النظرية من خلال التوجه نحو الانتشار خارج المدينة من خلال التجمع حول الأسواق
- ثبوتية الحاجات الإنسانية والأمان ساهمت في تطوير الجوانب النظرية بالتوجه نحو تغير الحاجات الى احتياجات بمرحلة تمثلت بالفرد بتغير النموذج النظري له وعلاقتها بالجوانب التعليمية عند الفارابي لان الفرد استطاع ان يدرك أهمية الجوانب الاجتماعية وعلاقته مع المجتمع.
- تحول في مرحلة الأسواق بعد ان كانت محددة بسوقين أصبحت تتجه نحو سويقات صغيرة خارج المدينة أدت الى نشوء السكن حول تلك السويقات بعد ان كان اتجاه السكن مرتبط بالمسجد وبيت الخليفة وهي تمثل مرحلة احتياجات لتقدير الذات. شعور الفرد بهذه المرحلة بذاتيته ومدى صنعه لمستقبله من خلال خروجه عن قيود المدينة السابقة والاتجاه نحو تكوين

اتجاهية الحرفة الى صنعة عن طريق نشوء عدد كبير من الدكاكين الصغيرة والتي بدأت بالتجمع لتكون النواة الثانوية التي تنتشر خارج المدينة كما هو في (figure(7).



Figure (7) Plan of the city of Baghdad after the exit of markets from the city wall (second stage) Source / researchers. The Maslow pyramid study of Al-Yousif

- تمثل هذه المرحلة بالتالي (مرحلة تحول ، فضائل نظرية متغيرة ، ثبوتية الحاجة ، ظهور الاحتياجات الاجتماعية، انشاء نواة متعددة لتوسيع المدينة، اتجاه الحرفة الى صنعة، الاعتماد على العقل والتجربة)

5- المرحلة الثالثة لتطور الأسواق :-

نجد ان هذه المرحلة تطورت فيها الانماط البنائية وازدادت تعقيدا وشمل هذا الأسواق والسكن بصورة واسعة، حيث توسعت وأصبحت الأسواق متخصصة في بضاعة معينة ومحددة. وتعتبر الأسواق هي من اهم مكونات المدينة حيث ظهرت الأسواق في المدينة وارتبطت بالجامع ارتباطا عضويا وظهرت الصنعة في تلك الأسواق (Kamouna, 1991,p11). تميزت الاسواق في جانب الكرخ بانها كانت طويلة ومتكونة من صفوف من الدكاكين الصغيرة (أي انها كانت ذات تكوين خلوي) على جانبي محور وسطي. وبهذا ظهر النموذج التخطيطي للأسواق المتمثل من محور رئيسي تتفرع منه فروع موازية وهذا النموذج اصبح المعتمد في الأسواق التقليدية للمدينة.

لقد تميزت هذه الحقبة بتنوع الأسواق فبعد خروج الأسواق الرئيسية عن اسوار المدينة فظهرت نتيجة ذلك السويقات وهي أسواق صغيرة تقع على طرفي الازقة المتفرعة من السوق الأصلي المتخصص ببيع وشراء نوع معين من السلع وكان يسمى باسم صاحب السوق او نوع التجارة التي يمارسها. ان التوقيع الجديد للأسواق خارج المدينة المدورة ساهم على ربطها مع بعضها بعض وربطها بشبكة طرق المدينة ولهذا نجد ان الدكاكين اخذت تحتل مواقعها على جانبي الطرق لتشكل شريطا تجاريا في المدينة. (Al-Yacoubi, 2002, p251).

كما هو في (figure(8).

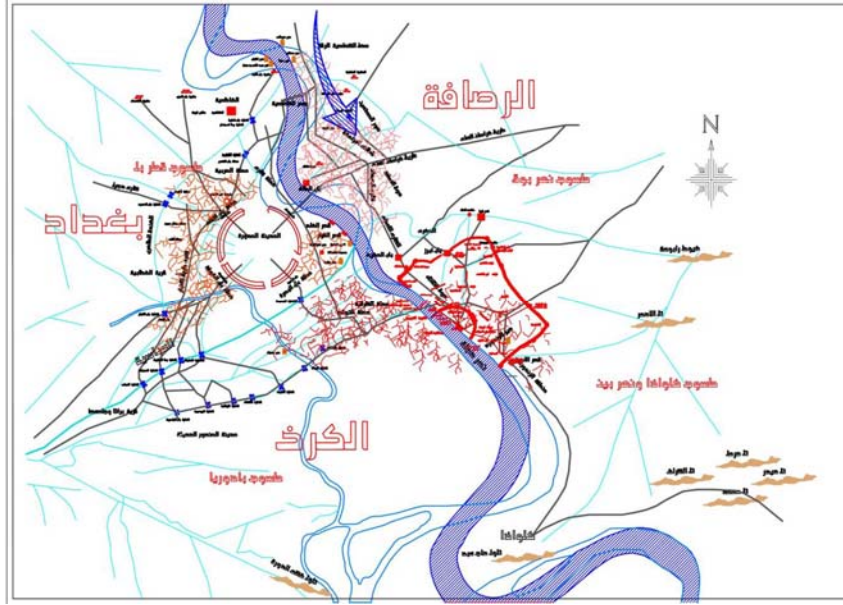
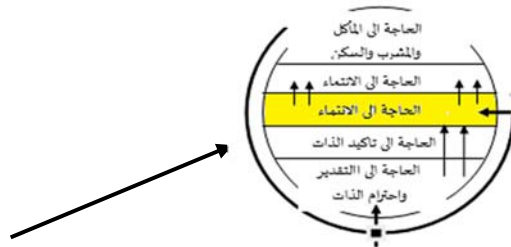


Figure (8) a diagram showing the location of Baghdad 1094 / source <http://www.iiraqna.com>

- نجد ان هذه المرحلة من مدينة بغداد ساهمت في تحقيق الذات للفرد والمجتمع وكان هذا متمثل بانتشار الأسواق بصورة كبيرة وزيادة حجمها وتعددية استخداماتها وقد انعكس هذا الجانب بشكل واضح على مستويين بالمدينة. المستوى الأول (المجتمع)، حيث ظهر ادراك مفهوم الصنعة وارتباطه بممارسة المهنة (الفلسفة الجمالية). اما المستوى الثاني(الفرد) وهذا الجانب ساعد على تحقيق الفردانية للفرد من خلال الصنعة.
- التطور بالاحتياجات الى تحقيق الذات من خلال المقاصد النفعية والتي تهدف الى الفرد عن طريق ممارسة المهنة من جانب عقلي وعملي متأثر بالزمان والمكان حيث يمثل الزمان الفترات التاريخية التي مرت على تطور احتياجات الفرد والمجتمع وتطور المكان. كما هو في figure(9).



The identity of

Transition to self-realization / privacy / identity

Mind and experience are the basis

Change (intellectual and theoretical virtues)

this stage

And continuous dynamics

Figure (9) Maslow pyramid study of Al-Yousif

- لقد برزت الفضائل الخلقية من خلال ارتباطها بمدركات الفرد للمهنة وممارستها والتحول من الحرفة الى المهنة من مستوى سويقات الى مستوى أسواق كبيرة تخترق ضفة النهر وتساهم في انتشار الثقافة الاقتصادية بين الافراد.
- عند دراسة مدينة بغداد تظهر هذه المدينة مجزأة داخليا الى اجزاء ولكن فعليا تكون تركيا واحدا، هذه الاجزاء تمثل مجتمعات متجاورة نمت وتعايشت مع بعضها وغالبا ما تكون وحدة مركزية واحدة وما حولها من المدن الصغيرة والقرى المحيطة، محققة بذلك مجتمع مختلف عن المجتمعات الأخرى.

- ان المدينة عبارة عن سلسلة معقدة وهي تمثيل لنهايات مفتوحة، والمدن عموما معرضة الى ضغوط تؤدي الى احداث حالات من التغيرات بها ترتبط مع مفهوم الغاية من نشوء المدن.
- وتمثل الأسواق منطقة تجارية بموقعها، ولكن تعرضت الى التحول والتغيير والتوسع، و نشوء الأبنية الجديدة فيها والتباين المعماري ما بين عناصرها المعمارية، واحتواؤها على تجمع من الجوامع والأسواق والخانات، والوظائف الإدارية والحكومية فيها، وقد بدأت معالم الهجرة السكنية للأغنياء من المركز نحو الأحياء الجديدة، واستمرت الأسواق القديمة تؤدي دورا وظيفيا أساسيا، حيث (تلقي فيها الوظائف التجارية والدينية والصناعية).

7- الاستنتاجات: -

- 1- نشوء المدن يعود سببه لتلبية حاجة مجتمع ومتطلبات افراد ساهمت بأثناء تلك المدن اما مدينة بغداد فقد نشأت بسبب قرار فرد (مسؤول)، ثم تغيرت وتحولت لتلبي متطلبات المجتمع بصورة عامة والفرد بصورة خاصة وهذا ساهم على نشوء الأسواق التي تعتبر هي من اهم مكونات المدينة لكونها تستطيع ان توفر الحاجات الفسيولوجية، و تسعى المدن الى شعور الفرد بالأمان من خلال جعل المدن محصنة . فنجد ان الفضائل الفكرية والنظرية تؤسس منذ نشوء المدينة، وان الجانب الاجتماعي له دور فعال في تلبية المدن لحاجات المجتمع.
- 2- تشهد المدن بعد ولادتها عدد من التحولات والتغيرات في نمطها الشكلي والوظيفي وتعتمد على درجة ونوعية الاختلاف الحاصل للمدينة، والذي يكون بسبب استقرار الحاجات الأساسية، ولهذا يتجه المجتمع الى التغيير والتحول والخروج من نمط المدن المحصنة بالأسوار والتوجه نحو الانفتاح الى الخارج من خلال الأسواق والسكن، وتحول الحرفة الى صنعة وازدياد الهجرة الى المدينة ، جميع هذه الأسباب ساهمت في تحقيق التغيير والتحول للمدن ، ومرتبطة هذا بالتردد الصاعد للقوى والانتقال من الخاص الى العام لتحقيق الحاجات الأساسية للفرد والمجتمع .
- 3- المتغيرات المكانية والزمانية تعتبر هي من المسببات الرئيسية التي تؤثر على الفضائل الفكرية والتنظيمية وبدورها تؤثر على المجتمع بصورة عامة والفرد بصورة خاصة وتساهم في تحول وتغير نمو المدينة . حيث منذ نشوء مدينة بغداد كان التوجه والتعامل مع المؤثرات المكانية اما بعد نموها وتطورها اصبحت المؤثرات الزمانية هي التي تساهم في حدوث التغيير. ويرتبط هذا بتحقيق الشعور بالانتماء بثبوتية المكان، ومن ثم يسعى العقل بالتوجه نحو العمل من اجل التغيير والتحول والتطور خلال تغير الزمن.
- 4- الخروج عن المألوف بنموذج المدينة والتوجه نحو هدم الاسوار ساهم في انشاء عدد من السويقات الصغيرة التي تكون متصلة مع الأسواق الرئيسية عن طريق عدد من المحاور وشبكة من الطرق وكذلك انشاء محلات سكنية جديدة لتسكين الأشخاص الذين يعملون في الأسواق. وتتمثل هذه المرحلة بالتكيف مع الموجود حيث بعد تحقق ثبوتية الانتماء يتم التوجه نحو الانتشار من اجل المقاصد النفعية وتحقيق الفعل الإنساني من خلال الصنعة.
- 5- تمثل مرحلة تحول شملت فضائل نظرية متغيرة مع ثبوتية الانتماء وتغيرات الاحتياجات الاجتماعية أدى الى انشاء نواة متعددة لتوسيع المدينة، مما ساهم الى تغير في نموذج الأسواق وكذلك طبيعة الصنعة بالإضافة الى التخلص من الاسوار المحيطة بالمدينة.
- 6- ان عملية التطور للمدينة ساهمت في تحقيق الذات للفرد والمجتمع وكان هذا متمثل بانتشار الأسواق بصورة كبيرة وزيادة حجمها وتعددية استخداماتها وانعكس هذا الجانب على مستويين بالمدينة الأول (المجتمع)، حيث ظهر ادراك مفهوم الصنعة وارتباطه بممارسة المهنة (الفلسفة الجمالية) والثاني الفرد وهذا الجانب ساعد على تحقيق الفردانية من خلال الصنعة.
- 7- ان المدينة بعد التطور أصبحت متغيرة النموذج عن المدن السابقة ، وكان للجانب الاقتصادي الدور بتطور الأسواق بجعلها سلسلة معقدة ذات نهايات ممتدة ومفتوحة ، تعكس تلك النهايات الرؤية المستقبلية لتطور الأسواق نتيجة المتغيرات الزمانية والمكانية. وبهذا أصبحت الأسواق متكيفة مع المتغيرات الاجتماعية المتأثرة بالجوانب المكانية والزمانية.

References:

- Aati, dr. Ibrahim, 1993, "Man in Islamic Philosophy "(Farabi Model), Egyptian General Book Authority.
- Al-Ali, Saleh Ahmed, 1988 "Landmarks of Baghdad Administrative and Urban" A schematic study, House of Public Cultural Affairs, Baghdad, Iraq.
- Al- Jayousi, Mustafa, 2005, Encyclopaedia of Arab and Muslim Scholars and their Media, Dar Osama for Publishing & Distribution, Oman, Jourdan.
- Al-Farabi, Abu Nasr, 1987, "A Look at the Way of Happiness" , Amman, University of Jordan Publications, First Edition,.
- Al-Farabi, Abu Nasr, 1998, "Civil Political Book", Beirut, Catholic Press,.
- Al-Farabi, Abu Nasr, 1995, collection of happiness, Dar Al-Hilal Library, First edition.
- Al-Jabri, Mohamed Hassan, 2002, "The Fortified City of Karkh: A Historical Study of its Old Stores", Ministry of Information, Baghdad, Iraq.
- Al-Yacoubi, Ahmed Ibn Abi Yaqoub Ibn Wafih, 2002, "The Countries", First edition, Science Library, Beirut.
- Al-Yousif, Dr. Ibrahim Jawad, 2017, "Introduction To Reading Architecture", First edition, Dar Al Walaa Printing & Publishing, Baghdad, Iraq.
- Ibn Abdoun, 2009, " A Message in the Literature of Al - Hesba" .
- Kamouna, dr. Haidar, 1991, "The Problem of Preserving Heritage Markets in the Modern Arab City", Baghdad, Iraq.
- Lang, John, 1987 "Creating Architecture Theory: The Role of the Behavioural Sciences in Environment Design", New York; Van Nostrand Reinhold Company Inc.,
- Maslow's Hierarchy of Needs, Saul McLeod, published 2007 , updated 2014, simplypsychology.org.
- Mustafa Jawad, et others,1960, Baghdad, Iraqi Engineers Association, Baghdad, Iraq.
- <http://www.iiraqna.com>.
- <http://www.iraqinhistory.com>.